العالم الثالث في ظل استراتيجيات القوى الكبرى: بين تحدي النيوكولونيالية واستجابة المقاومة الوطنية.

أ. محمد رزيق

كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية

جامعة الجزائر ـ 3.

ملخص :

تعرضت الحركة الكولونيالية لضربات متتالية بعد الحرب العالمية الثانية 1945، من قبل المشاريع الوطنية التي قادتها الحركات التحررية في إفريقيا وآسيا... مما ألحق بها خسائر فادحة أدّت إلى تراجع حاد لها على المستوى العالمي في الفترة التي تلت 1945: و لعلّ عقد الستّينيات من القرن 20، كان أزهى فترة للحركات التحررية في ما كان يعرف بالبلدان المستعمرة.

إلاّ أن واقع الحال، قد دل أن الحركة الكولونيالية وإن تراجعت مؤقتا إلاّ أنها لم تفقد الأمل في استرجاع ما فقدته من خلال إعادة تبني إستراتيجية التكيف والتأقلم مع المتغيرات الجديدة التي شهدها عالم ما بعد 1945: وقد تجلى ذلك في ظهور الحركة النيوكولونيالية التي ما فتئت تتحيّن الفرص للانقضاض على أقاليم ومناطق جديدة في إفريقيا وآسيا...وذلك من خلال استخدام العديد من الوسائل والأساليب المتعدّدة: التكنولوجيا،مكافحة الفقر، التعاون، محاربة الإرهاب... للعودة للمناطق التي فقدتها بعد 1945.

إن دول ما أصبح يعرف بالعالم الثالث انقسمت إلى أقسام في مواجهة هذه السياسة النيوكولونيالية، ففي الوقت الذي استطاعت بعض الدول أن تقاوم هذه السياسات فقد سقطت دولا أخرى في ما أصبح يعرف بالمستوطنات الجديدة أو المستعمرات الجديدة.

Résumé :

Le mouvement colonial a subit des coups successifs après la Seconde Guerre mondiale en 1945, par les projets menés par les mouvements de libération en Afrique et en Asie ... Ces mouvements ont provoqué de lourdes pertes aux puissances coloniales et ont motivé l'adoption d'une nouvelle stratégie comportant l'adaptation des moyens et outils à même d'endiguer ces changements et de pérenniser leur présence avec un autre habillage, le néocolonialisme.

Pour ce faire, les pays connus sous le nom de Tiers Monde ont été divisés en sections face à cette politique néocoloniale : si certains pays ont pu résister à ces politiques, d'autres sont tombés dans ce qui est devenu de nouvelles colonies.

مقدمة:

تعرضت الحركة الكولونيالية لضربات متتالية بعد الحرب العالمية الثانية 1945،من قبل المشاريع الوطنية التي قادتها الحركات التحررية في إفريقيا و آسيا... مما ألحق بها خسائر فادحة أدّت إلى تراجع حاد لها على المستوى العالمي: و لعلّ عقد الستّينيات من القرن 20،كان أزهى فترة للحركات التحررية في ما كان يعرف بالبلدان المستعمَرة.

دل واقع الحال، أن الحركة الكولونيالية و إن تراجعت مؤقتا إلاّ أنها لم تفقد الأمل في استرجاع ما فقدته من خلال إعادة تبني إستراتيجية التكيف و التأقلم مع المتغيرات الجديدة التي شهدها عالم ما بعد 1945:و قد تجلى ذلك في ظهور الحركة النيوكولونيالية التي ما فتئت تتحيّن الفرص للانقضاض على أقاليم و مناطق جديدة في إفريقيا و آسيا... و ذلك من خلال استخدام العديد من الوسائل والأساليب

المتعـدّدة: التكنولوجيـا، مكافحـة الفقـر، التعـاون، محاربـة الارهاب... للعودة للمناطق التي فقدتها.

إن دول مـا أصـبح يعـرف بالعـالم الثالـث انقسـمت إلى أقسام في مواجهة هذه السياسة النيوكولونيالية، ففي الوقت الذي استطاعت بعض الدول أن تقاوم هذه السياسات فقد سقطت دولا أخرى في ما أصبح يعرف بالمستوطنات الجديدة أو المستعمرات الجديدة.

ترتكز هذه الدراسة على ثلاثة محاور و هي:

- المحـور الأول : اسـتراتيجيات القـوى الكبرى في العـالم الثالث بعد الحرب العالمية الثانية 1945-1991.
- المحـور الثـاني : النيوكولونياليـة والمسـتوطنات الجديـدة: الوسائل و الأساليب.
- المحور الثالث : المقاومة كخيار استراتيجي للعالم الثالث.

المحور الأول: استراتيجيات القوى الكبرى في العالم الثالث بعد الحرب العالمية الثانية

شـهدت فترة مـا بعـد الحـرب العالميـة الثانيـة ظهـور نـوع جديد من الصراع بين القوى الكبرى تجلى ذلك في الحرب الباردة 1945-1991 التي قامت بين حليفي الحرب العالمية الثانية و هما الولايات المتحدة الأمريكية(إلى جانب حلفائه أوروبا الغربية أساسا وعلى رأسها: بريطانيا وفرنسا) والإتحاد السوفيتي (إلى جانب حلفائه أوروبا الشرقية).

كان جوهر هذا الصراع هو اختلاف الرؤى بشأن إدارة عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية بين القوتين العظميين نظرا للاختلاف الإيديولوجي و الاستراتيجي وهو مافتح الباب واسعا على مرحلة جديدة من الصراع بين الكبار، امتدت رقعته في إفريقيا و آسيا باعتبارهما المختبر الذي وقعت عليه تفاعلات الصراع الدولي بين الكبار، و كانت قضاياه المصيرية رهنا بتوازنات القوى العالمية.

كان الصـراع بـين القـوتين العظميـين و حلفائهمـا بهـدف تحقيق السيطرة على عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية وعليه فمـا هي أسـس و تصـورات و رؤى و مضـامين الفلسـفة التي حملتها القوى الكبرى (الليبرالية و شيوعية) لإدارة هذا الصراع؟ .

كـان ذلـك مـن خـلال فلسـفة شـيوعية شـمولية ضـد رأسمالية ضد طبقية، ضد قومية، وضد عنصرية... من خلال الثورة العالمية للوصول إلى ديكتاتورية البروليتارية؟[1]. أو من خلال فلسفة ليبرالية تحمل في طياتها منظومة قيمية أساسها "دعـه يعمـل دعـه يمـر"، و "حقـوق الإنسـان" و "الديمقراطيـة" و"التداول على الحكم"...

قـد أصبح العـالم الثالـث، في ظل هـذا الصـراع المحمـوم بـين الولايـات المتحـدة والاتحـاد السـوفييتي، يخضـع لـنمط جديد من نفوذ السيطرة الأجنبية، أو لنقل سيطرة من نوع جديد تراوح أساسها بين :

- التحـالف والتعـاون في شـكل : "التكامـل" و"الانـدماج"، لمواجهة الآخر.
- "الهيمنة" و"السيطرة" و"الاحتواء"... في أثواب جديدة ناعمة.

إلاّ أن الملاحظ أن عقلية الإمبراطورية كانت هي المحرك الأسـاس للقـوتين العظميـين، وذلـك انطلاقـا مـن العناصـر التالية:

- أن الإمبراطورية تسعى دائما للتفوق والسيطرة على الغير ووضع دول أخرى تحت التبعية السياسية والاقتصادية والثقافية لها[2].
- أن الإمبراطورية تطرح نفسها على أنها تمثل القيادة للدول التي تتبعها سياسيا و اقتصاديا و ثقافيا.
- أن الإمبراطورية تحمل مشروعا متعدد الجوانب و الأبعاد يحمل رؤيتها و تصوراتها و قيمها و عقيدتها...و عليه فإنها تعتبر نفسها انطلاقا من هذه المنظومة القيمية مكلّفة بنشـر رسـالة ألا و هي الرسـالة الحضـارية، و أن كـل مـن يعترض هـذه الرسـالة يجـب أن يسحق و يبـاد، "**فـالقيم مصلحة قومية غير ملموسة**" كما قال بذلك جوزيف نـاي[3].

اعتمدت القوتان العظميان، قصد تحقيق هذه الأهداف على العديـد مـن الأسـاليب و الوسـائل بغيـة إنهـاك الخصـم وإخراجه من حلبة الصراع، منها:

- الوسـائل الاقتصـادية: المسـاعدات والمشـاريع المشـتركة... (مشروع مارشال 1947، مشروع مولوتوف).

- الأحلاف العسكرية (الحلف الأطلسي 1949،حلف وارسو 1955...)، و السباق نحو التسلح.
- الانقلابات العسكرية في العديد من البلدان: إيران 1953،الشيلي 1973، في إفريقيا و الهند الصينية...
- الدعاية الإعلامية المضادة من قبل الطرفين و الحروب النفسية.
- الحروب الإقليمية لإجراء التجارب على الأسلحة: حروب كوريا، الفيتنام، الحروب العربية-الصهيونية...
- الارتباطات التكنولوجية المصدرة إلى دول العالم الثالث وما نتج عنها من تبعية سياسية.
- أما الإستراتيجية التي اعتمدها الطرفان المتصارعان فيمكن إبرازها من خلال ما يلي:

- **إستراتيجية الاتحاد السوفييتي:** هي إستراتيجية ثابتة مرتبطة بتكتيك يقوم على مرونة واسعة تتمثل في النصر النهائي أو هي إستراتيجية العمل النهائي. تقوم هذه الاستراتيجية على معرفة نقاط الضعف في مراكز الغرب لاستخدامها كنقطة وثوب نحو إحداث تغييرات في صفوف الخصم.

- **إستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية:** هي ترتكز على القضايا الخاصة وليدة الساعة محاولة كسبها أو عدم خسرانها على الأقل في كل قضية يحصل فيها نزاع مع الاتحاد السوفييتي و هذا ما يمكن تسميته بإستراتيجية استغلال الفرص.

المحور الثاني: النيوكولونيالية والمستوطنات الجديدة، الوسائل والأساليب:

أدى تفكك المعسكر الشيوعي و انهيار الاتحاد السوفييتي منذ 1989، إلى انهار النظام الدولي القائم على الثنائية القطبية منذ 1945 وانتقال موازين القوى إلى الأحادية القطبية و بالتالي فقد خرجت الولايات المتحدة الأمريكية المنتصر الأكبر من الحرب الباردة و تربعت على عرش الإمبراطورية العالمية.إنها اللحظة الأمريكية في العلاقات الدولية.

نتج عن نهاية الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي الرأسمالي بقياد الولايات المتحدة الأمريكية و الشرقي الشيوعي بقيادة الإتحاد السوفيتي في بداية التسعينيات من القرن العشرين، و ذلك بانتصار الرأسمالية على الشيوعية والولايات المتحدة الأمريكية و حلفائها الاستعماريون: فرنسا وبريطانيا و إيطاليا...ما فتح الطريق أمامهم، في دول الجنوب، لاستكمال ما بدؤوه منذ القرن التاسع عشر و لم يسعفهم الحظ على استكماله أمام ضربات الحركات التحررية الوطنية في هذه البلدان، و خاصة في البلاد العربية - الإسلامية.

و على هذا الأساس، فسوف يتبنى الغرب خطة جديدة لاستكمال مشروع قديم بعد إدخال تعديلات و تغييرات وتحسينات عليه مستفيدين من التجارب السابقة ومتكيّفين مع التغيرات التي شهدها العالم بعد الحرب العالمية الثانية.

كان للفراغ الذي أحدثه تفكك المعسكر الشيوعي وبالتالي اختلال موازين القوى و تغوّل القوى الإمبريالية على العالم أن استيقظ المارد الكولونيالي الذي اتضح أنه لم ينقرض بل إن الظروف الدولية ساعدته في العودة للواجهة من خلال إحياء المشاريع التي كنا نظن أنها ولّت و زالت، في العديد من المناطق وعلى رأسها القارتين الإفريقية والآسيوية، وبوجه أخص في البلاد العربية و الإسلامية، علما أن هذا "الاستعمار الجديد" هو فقط جزء من الصورة الإجمالية...فهذا المصطلح الجديد هو إحدى الوسائل المستخدمة في الوصول إلى البرنامج والأهداف الحقيقية لأعداء المسلمين[4].

- الاستعمار لم يمت:

كان واضحا أن الدّعين لمؤتمر باندونغ بأندونيسيا عام 1955، كانوا على دراية أن الاستعمار لم يمت. و في هذا الصدد قال أحمد سوكارنو (أول رئيس لأندونيسيا) في مؤتمر باندونغ:

" أقول لكم إن الاستعمار لم يمت، بعد.إذ كيف يمكننا القول أنه مات في الوقت الذي ما زالت أراض شاسعة في إفريقيا و آسيا، غير حرّة.

أطلب منكم ألاّ تنظروا إلى الاستعمار بشكله الكلاسيكي فقط، لأنه اتخذ صيغة حديثة.

تتبدّى على شكل رقابة اقتصادية و فكرية، و هيمنة مادية تقوم بها طائفة أجنبية صغيرة. تعيش في داخل الأمة. إنه عدو بارع و مصمِّم على تنفيذ أهدافه، لذا تراه

يتبدى في عدّة أشكال. و هو لا يتخلى بسهولة عن غنيمته. و مهما كان المكان والزمان الذي يظهر فيه الاستعمار، فإنه يبقى شرا لابد من اقتلاع جذوره من على سطح الكرة الأرضية"[5].

يمكن النظر إلى النيوكوبونيالية أو "الاستعمار الجديد" على أنه التحكم الذي تمارسه بعض الدول الكبرى بوسائلها المباشرة وغير المباشرة من سياسية، اقتصادية، عسكرية ومذهبية، على تلك المجموعة من الدول التي يساعد تخلفها الاقتصادي، وعدم استقرارها السياسي و ضعفها العسكري، على تحقيق النتائج المرجوة من وراء التحكم الاستعماري[6].

- الوسائل و الأساليب:

إن الاستعمار الجديد أو النيوكولونيالية لا يخرج عن كونه استخدم مجموعة الوسائل السياسية، العسكرية، الاقتصادية و المذهبية التي تتحكم بها بعض الدول المتقدمة ذات النزعة الامبريالية التسلطية في الدول المتخلفة الحديثة الاستقلال، و عليه يمكن رصد الوسائل المستخدمة للنيوكولونيالية فيما يلي:

- الأحلاف العسكرية، كمحاولة لاحتواء الثورة الآفرو-آسيوية المعادية للاستعمار.
- إذكاء حدّة الخلافات بين الدول الحديثة الاستقلال، وتحريك أسباب الصراع الطائفي و العنصري...بهدف إلهاء هذه الدول عن التنمية و البناء الداخلي.
- القروض والمساعدات المالية لتمويل شراء سلع استهلاكية[7].

إن الاستعمار، وإن كان قد زال في شكله الفاضح والمكشوف، إلاّ أنه ما زال قائما كفكرة ونظرية وإستراتيجية صالحة في حق الشعوب المستضعفة. وهذا من خلال العديد من النماذج في العالم ولا سيّما البلاد العربية والإسلامية (فلسطين،العراق، أفغانستان...) وفي إفريقيا وآسيا...

عمل الاستعمار الحديث أو النيوكولونيالية على إعادة بناء اقتصاديات البلدان المقهورة، و إدخالها في علاقة معقدة مع اقتصاده هو بحيث أصبح هناك تدفق للمصادر البشرية و الطبيعية بين البلدان المستعمِرة و البلدان المستعمَرة... و في أي اتجاه سافر الناس أو المواد، فإن الفوائد تدفقت عائدة إلى ما يسمى "بالبلد الأم"[8]، وهذا ما سوف يؤدي إلى بروز العديد من النظريات التي حاولت تفسير العلاقات القائمة بين البلدان الغنية و الفقيرة(العلاقة بين المستعمَر و المستعمِر):

1- نظرية التبادل غير المتكافئ لأرجيري إيمانويل[9]**:**

حيث ترى هذه النظرية أن التبادل اللاّمتكافئ يؤدي إلى استغلال الأمم الغنية للأمم الفقيرة؛ وهذه نتيجة تخالف أفكار المدرسة الكلاسيكية التي تدعي أن التبادل الدولي يؤدي إلى صالح الدول الفقيرة والغنية معا. كما يرى أن عدم التكافؤ في التبادل الدولي كان الأساس الذي استغلته الدول الغنية في تصعيد استغلالها للدول الفقيرة وفي عرض عملية التنمية اللاّمتكافئة التي أوصلت الفوارق في مستويات معيشة الشعوب إلى ما هي عليه الآن.[10]

2- نظرية التبعية Théorie de la dépendance:

تبلورت هذه النظرية في خمسينيات القرن العشرين وترى أن الفقر وعدم الاستقرار السياسي والتخلف في دول الجنوب (المستعمَرة) يعود سببها إلى المسار التاريخي الذي رسمته لها دول الشمال (المستعمِرة)، أهم روادها أندري غوندر فرانك، راؤول بربيش وسمير أمين...

يستحيل على بلدان الجنوب، وبالنسبة لأصحاب هذه النظرية، أن تنمو بدون أن تتحرر من علاقات التبعية التي تربطها إلى الشمال، إذ أن نمو دول الشمال يرتكز على تخلف دول الجنوب.

3- نظرية المركز و المحيط لسمير أمين Le Centre et la Périphérie:

ترى النظرية أن النمو في المركز نمو ذاتي في حين أنه متجه لخدمة المصالح الخارجية في دول المحيط. وأن التخلف هو نتاج لتوسع الرأسمالية في المجتمعات التابعة وأن الإمبريالية مسؤولة عن التخلف بين دول المركز: أمريكا، أوروبا، اليابان-المسيطر- و دول الأطراف : دول العالم الثالث - المسيطر عليها-[11].

- المحور الثالث : المقاومة كخيار استراتيجي للعالم الثالث

يرى آرنولد توينبي أن الحضارات التي نمت و تفتقّت هي تلك الحضارات التي استجابت للتحدي الذي شهدته خلال

مسارها، عكس الحضارات التي لم تستجب . و هذا ما يطلق عليه بقانون التحدي و الاستجابة[12].

كان للظاهرة الاستعمارية التي أفرزتها الرأسمالية وللاستعمار الجديد أو النيوكولونيالية التي أفرزتها الامبريالية الجديدة انعكاسات وجودية على الشعوب المستعمَرة التي كان عليها أن تبلور ثقافة المقاومة أو التلاشي و الزوال.

أ- صور المقاومة:

يخبرنا التاريخ أن هذه الثقافة ليست متجذِّرة في جميع الشعوب وفي جميع المناطق، حيث أن هناك العديد من الشعوب ارتضت أن تذوب في وعاء المستعمِر و تتلاشى وتصبح أثرا بعد عين (نموذج كاليدونيا الجديدة و الهنود الحمر وسكان أستراليا و تسمانيا الأصليون و غيرهم من سكان الجزر والمناطق التي ارتضت أن تنصهر في بوتقة المستعمِر)،

ينصبُّ تركيزنا، هنا حول الشعوب التي قاومت و ناضلت من أجل افتكاك حريتها و استعادة استقلالها. وعليه فإن اهتمامنا سوف يركز على الحضارة التي استطاعت أكثر من غيرها أن تقارع المستعمِر قديما و حديثا ألا و هي الحضارة الإسلامية (على أن ذلك لا يمنعنا من الوقوف على حضارة قارعت الاستعمار كالحضارة الكونفوشيوسية.)

استطاعت البلاد العربية و الإسلامية أن تطرد الغرب من ديارها على إثر الحروب الصليبية التي شنها على بلاد المسلمين ابتدئا من 1095 م، إضافة إلى الغارة على البلاد الإسلامية بعد ضعف الدولة العثمانية (أو الرجل المريض بحسب التعبير الأوروبي الذي أطلق عليها بعد أن و دب ء الضعف في أوصالها)، حيث لم يسلم من هذه الغارة إلاّ أربعة دول ظلت محافظة على استقلالها و هي: تركيا و إيران وأفغانستان والسعودية[13].

ب- التحدي الإستراتيجي:

الصراع ظاهرة تتسم بالديمومة (الاستمرار) عبر العصور و ذلك من خلال سعي الأطراف المتصارعة لفرض هيمنتها و رؤيتها و تصورها على الآخر. انطلاقا من ذلك، فإنه وبالرغم من شدّة وطئت الكولونيالية على العديد من الشعوب الإسلامية (الجزائر، فلسطين نموذجا)، فقد شهدت الكولونيالية الغربية تراجعا منذ القرن العشرين وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية 1945، حيث "حدث ما يقرب من 92 حالة استيلاء على أراض إسلامية من قبل حكومات غير إسلامية عامي 1757 و 1919، و بحلول عام 1995 كان 69 من تلك المساحات قد عادت مرة أخرى تحت الحكم الإسلامي، و في حوالي 45 دولة مستقلة كانت الأغلبية الساحقة من السكان مسلمين." [14] و هذا ما جعل أحد أهم المنظرين الغربيين لصدام الحضارات **صامويل هنتنجتون** يقول " **أن العلاقات بين الإسلام و المسيحية سواء الأرثوذوكسية أو الغربية كانت عاصفة غالبا**"[15] على مدار 14 قرنا من التاريخ. ليضيف برنارد لويس (عراب المحافظين الجدد) أن أوروبا كانت " تحت تهديد مستمر من الإسلام" وأن " الإسلام هو الحضارة الوحيدة التي جعلت بقاء الغرب موضع شك"[16].

يرى **هنتنجتون** في كتابه ذائع الصيت بناء على ما سبق، أن " **المشكلة المهمة بالنسبة للغرب ليست الأصولية الإسلامية بل الإسلام فهو حضارة مختلفة، شعبها مقتنع بتفوق ثقافته و هاجسه ضآلة قوته.**

ليست المخابرات المركزية الأمريكية و لا وزارة الدفاع. المشكلة المهمة بالنسبة للإسلام. بل هي الغرب: حضارة مختلفة بشعب مقتنع بعالمية ثقافته و يعتقد أن قوته المتفوقة إذا كانت متدهورة، فإنها تفرض عليها التزاما بنشر هذه الثقافة عي العالم.هذه هي المكونات الأساسية التي تغذي الصراع بين الإسلام و الغرب." [17]

بالعودة إلى ما كتبه أساطين الفكر الاستراتيجي الغربي:

- **هنتنجتون** (صدام الحضارات الذي يرى فيه أن الصراع بين الإسلام و الغرب سيكون هو السمة الغالبة للعلاقات بين الحضارتين.)
- **برنارد لويس** (الذي يرى أنه لا تعايش بين الغرب والإسلام نظرا لطبيعة كل منهما.)
- **زبيغنيو بريجنسكي** الذي يرى أن الإسلام يرفض حالة السيادة التي تتربع عليها حضارة غربية يعتبرها في الوقت ذاته فاسدة و مستغلة اقتصاديا و استعمارية سياسيا[18].
- **باري بوزان**(الذي يرى أن يطرح فكرة الصدام الحضاري مع الإسلام، من خلال مقال له السياسة الواقعية في

العالم الجديد: أنماط جديدة للأمن العولمي في القرن الواحد والعشرين 1991. [19]

و عليه فإن الإسلام بالدرجة الأولى و الكونفوشيوسية قد أبديا معارضة للهيمنة الغربية ذات الأصول الإغريقية- الرومانية و اليهودية- المسيحية مما أدّى إلى التحالف الكونفوشيوسي – الإسلامي (حسب هنتنجتون) الذي يعبر عن نفسه عبر تصدير المعدات العسكرية من كوريا الشمالية و الصين، إلى الدول العلابية –الإسلامية(الجزائر، العراق، ليبيا، إيران، سوريا)، حيث أن هذا التحالف يقوم على قاعدة تصدير التكنولوجيا العسكرية لخلق توازن مع الغرب[20] هو الديانة الوحيدة التي اعترضت طريق الهيمنة الغربية على العالم التي اتخذت العديد من الصور والأشكال: الديمقراطية- العولمة - الهيمنة الثقافية- حقوق الإنسان- الأقليات، الحرب على الإرهاب... و هذا ما جعل بنجامين باربر يطرح سؤالا وجيها في كتابه **الجهاد في مواجهة عالم ماك** هل هو الجهاد في مواجهة عالم ماك ؟ عولمة و قبيلة؟[21] وأن " أهم صراعات المستقبل سوف تحدث على امتداد خطوط الصدع الفاصلة بين الحضارات وبعضها...و كثير منها يعتمد على التوترات بين الإسلام والغرب"[22].

كان للنضالات المعادية للاستعمار أن أوجدت هويات جديدة من أجل الشعوب المستعمَرة و كان للقومية و الوعي دورا في الحركات التحررية بعد الحرب العالمية الأولى واشتدادها بعد الحرب العالمية الثانية.

ج- عدم الانحياز أول أسطورة جيوبولتيكية مضادة للتصور الغربي:

إن الديناميكية التي شهدتها البلدان المستعمَرة للتحرر من أوروبا الكولونيالية، سوف تصطدم بنشوب الحرب الباردة بعد 1945، بين الولايات المتحدة الأمريكية و الإتحاد السوفييتي و حلفائهما الأوروبيين، ما جعل البلدان الحديثة الاستقلال مرة أخرى مهدّدة في استقلالها و سيادتها في ظل الاستقطاب الثنائي من خلال سياسات ملء الفراغ التي بلورتها القوتين العظميين و ما تبع ذلك من أحلاف و قواعد عسكرية و انقلابات عسكرية وحروب إقليمية...

على أن البلدان الحديثة الاستقلال سوف تسعى للحيلولة دون الوقوع في مطبّات الامبريالية الجديدة الغربية منها و الشرقية من خلال تبني **سياسات الحياد و عدم الانحياز** و هي السياسات التي تقوم على نبذ الارتباط بعجلة التكتلات الدولية التي تخدم في الأساس الدول الكبرى[23]...

يبقى أن نشير أن ميلاد **حركة عدم الانحياز** و سعيها لتحرير البلدان الحديثة الاستقلال من هيمنة الكبار ومحاولتها التخلص من الاستعمار (الجديد) بطرح ثنائية شمال/جنوب في مقابل شرق/غرب قد حققت نجاحا نسبيا أمام احتكار الغرب للخطاب الجيوسياسي المهيمن بعد 1989. حيث تربّعت الولايات المتحدة الأمريكية على العرش العالمي و ذلك بالانتقال من الثنائية إلى الأحادية القطبية.

د- "الحرب على الارهاب" أو الاستعمار في تجلياته الجديدة:

أهم ما يميّز العصر الأمريكي هو سعي هذه الأخيرة لفرض تصورها للعالم من خلال المنظور الجيوبولتيكي الذي يعتبر الرؤية الشمولية التي تندرج في إطارها أمم العالم، و لعلّ "مفهوم الحرب على الإرهاب" الذي رفعته أمريكا بعد اعتداءات 2001/09/11 قد كان المؤشر على إعلان الحرب على (الطغيان، الفاشية،الشمولية) للدفاع عن الخير(الحرية،الديمقراطية) [24] و مواجهة الدول المارقة " التي تشكل تهديدا لجيرانها و للعالم بأسره، و أنها دولة خارجة عن القانون، يقودها متقمص لهتلر ينبغي أن يحتويه حراس النظام العالمي." [25]و محور الشر...

خاتمة

يعتبر الاستعمار ظاهرة مستمرة في الزمان والمكان وأنه لم يختفِ بل تكيف مع المعطيات الجديدة ليلبس لها ثوبا جديدا يليق بها تحت أسماء جديدة:

- حماية حقوق الأقليات،
- حقوق الإنسان،
- نشر الديمقراطية
- حق الاختلاف
- خصوصيات الغير...

يستوجب العمل على عدم معاودته مستقبلا، باعتباره نقطة سوداء في تاريخ البشرية، تحت أي شكل من الأشكال أو أي مسمى من التسميات البراقة الخادعة والتمويهية التي

تستقطب الغافلين والموهومين وتستثير العملاء والمأجورين كما حدث في العراق والسودان وأفغانستان والعديد من البلاد العربية.

يستوجب هذا، أيضا، تنبيه الرأي العام الوطني والدولي أن اختلال التوازن في القوة من شأنه أن يؤدي مستقبلا لتكرار الظاهرة الاستعمارية في أي مكان في العالم لأنها كظاهرة لم تنتهِ ولن تنتهي وهذا ما يستوجب العمل على إيجاد الآليات و الميكانيزمات للحيلولة دون تكرار هذه الظاهرة مستقبلا. وذلك من خلال إنشاء هيئات دولية تضطلع بترصد هذه الظاهرة والتنبه لها والعمل على وضع حد لها. خاصة بعدما عاود الاستعمار الظهور في شكله السافر والمباشر في العديد من البلدان وعلى رأسها العراق والسودان وأفغانستان وسوريا... بعد فترة ركود و جمود أعقبت انتشار الحركات التحررية في العالم الثالث وميلاد حركة عدم الانحياز والدعوة إلى إقامة نظام اقتصادي دولي جديد يأخذ بعين الاعتبار مصالح دول العالم الثالث التي كانت غائبة عند صياغة النظام الاقتصادي في مؤتمر بريتن وودز بالولايات المتحدة الأمريكية عام 1944.

ما زالت فرنسا و بريطانيا و غيرها وفيتان لتاريخهما الاستعماري ومتشبّثتان به إلى النُّخاع بالرغم من المحاولات القليلة والمتقطعة التي حاولت أن توجه انتقادا له.

إن التاريخ لا يمكن أن يكتبه القوي ولا أن يعبث به المستعمِر، لأن الاستعمار كان وما زال وسيظل وصمة عار في جبين الدول القوية الأوروبية بالخصوص بعد الانقلاب الجذري الذي شهدته البشرية بعد الثورة الصناعية ابتداء من منتصف القرن 18 و الذي سوف يجعل الدول الأوروبية الصاعدة ومن خلال منطلقات فكرية وثقافية ودينية مقرونة بالتطلعات السياسية والاقتصادية والعسكرية، تنظم هجمة على بلدان وشعوب آمنة ومستقلة في إفريقيا وأسيا وأمريكا بهدف صناعة عالم يكون فيه **المحيط** مجالا حيويا **للمركز** وبهدف إقرار علاقات دولية أساسها تبعية الضعيف للقوي والرجل الملوّن للرجل الأبيض وللثقافات والديانات المتنوعة للثقافة والحضارة اليونانية – الرومانية ذات الروح اليهودية والمسيحية، إن التاريخ يَكتبه الوقائع والأحداث والشهادات والإنجازات التي تمت في أرض الواقع.

إن الاستعمار جاء إلى هذا الوطن حسب محمد البشير الإبراهيمي بثلاثة أشياء ليمحوا بها ثلاثة أشيء: "**جاء باللاتينية ليغمُر بها العروبة، و جاء باللغة الفرنسية ليقضي بها على اللغة العربية و جاء بالمسيحية لينسخ بها الإسلام**"[26].

إن الاستعمار، قبل أن نتصور أي إيجابية أو سلبية نتجت عنه، **هو جريمة في حدّ ذاته، جريمة في حق الإنسانية، جريمة في حق الحضارة، والثقافة والتاريخ وجريمة لا يقرها أي منطق أو دين أو شريعة.**

ثم الاستعمار بشكله القديم و الحديث قد أفرز مساوئ لا تعدُّو لا تحصى على المستوى الدولي و هذا ما جعل إيمي سيزر يقول: "**إن الحضارة التي تثبت عجزها في حل المشكلات التي تثيرها هي حضارة منحطة.**

إن الحضارة التي تختار أن تغض الطرف عن مشكلاتها الأهم هي حضارة مصابة بداء.

إن الحضارة التي تستخدم مبادئها في الغش و الخداع هي حضارة بائدة...

أوروبا لا يمكن الدفاع عنها"[27].

الهوامش :

[1]- جمال حمدان:إستراتيجية الاستعمار و التحرير، ط1، دار الشروق، القاهرة 1983، ص**185**.

[2]- هنري لورنس، الإمبراطورية وأعداؤها، المسألة الإمبراطورية في التاريخ، ترجمة بشير السباعي، المركز القومي للترجمة،القاهرة 2010، ص 15.

[3] - تيري. ل. ديبل، إستراتيجية الشؤون الخارجية منطق الحكم الأمريكي، ترجمة وليد شحادة، دار الكتاب العربي، بيروت 2009، ص245.

[4]- آرشي أوغوستين، الحرب على الإسلام، ترجمة محمد الشماع، دار صفحات للدراسات والنشر،دمشق-سورية 2011، ص209.

[5]- كارولين بوستل-فيناي، من الاستعمار الأوروبي إلى الهيمنة الأمريكية كيف فرض الغرب تصوراته عن العالم، ترجمة قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2006، ص **67-68**.

[6]- إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية دراسة في الأصول و النظريات، منشورات ذات السلاسل، ط4، الكويت 1985، ص580.

[7]- **نفس المرجع، ص 580-581.**

[8] - آنيا لومبا، في نظرية الاستعمار و ما بعد الاستعمار الأدبية، ترجمة محمد عبد الغني غنوم،دار الحوار للنشر و التوزيع، اللاذقية،سورية 2007، ص19.

[9]- A. EMMANUEL: L'échange inégal – Essai sur les antagonismes dans les rapports internationaux, Paris, éd Maspéro, 1978.

[10] - أحمد جمال الدين موسى: العلاقات الاقتصادية ونظريات التنمية، مكتبة الجلاء الجديد ة، المنصورة، مصر 1999، ص 65.

[11] - سمير أمين، مستقبل الجنوب في عالم متغير، القاهرة، مركز البحوث العربية،2002، ص80.

[12]- أرنولد توينبي، مختصر دراسة للتاريخ،ج1، ترجمة فؤاد محمد شبل،المركز القومي للترجمة، القاهرة 2011، ص 101-131.

[13]- بالرغم من أنها سلمت، إلاّ أن الاستعمار الجديد عرف كيف يتعامل معها بضمها إلى تحالفاتها(تركيا: الحلف الأطلسي) ويجعلها فاشلة على الدوام (أفغانستان) ويستخدمها دركيا في إقليمها (إيران في عهد الشاه) أو دعمها للغرب (السعودية).

[14] - صامويل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، ط2، 1999، سطور، د.م.ن، ص340.

[15] - نفس الرجع ،338.

[16] - نفس المرجع، 339.

[17]- صامويل هنتنجتون، مرجع سابق ذكره، 352.

[18] - زبيغنيو بريجنسكي، الفوضى الاضطراب العالمي عند مشارف القرن الحادي و العشرين، ترجمة مالك فاضل، الأهلية للنشر و التوزيع، المملكة الأردنية، عمّان1998، ص166.

[19] -New word realpolitik ; news patterns of global security in the twenty first century.1991

[20]- باسكال بوني فاس ، التحديات الداخلية التي يواجهها العالم العربي من وجهة النظر الأوروبية، أعمال المؤتمر الدولي الثاني لمركز الدراسات العربي-الأوروبي، القاهرة من 25-1994/01/27، ص ص87-88.

[21] -**Benjamin Barber,Jihad vs McWorld in braving the new world 1996**.

[22]- بول هوبر، نحو فهم للعولمة الثقافية، ترجمة طلعت الشايب، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب 2011،ص 183.

[23]- إسماعيل صبري مقلد، الإستراتيجية والسياسة الدولية المفاهيم و الحقائق الأساسية، مؤسسة الأبحاث العربية،ط2، 1985،ص34.

[24]- كارولين بوستل- فيناي، من الاستعمار الأوروبي إلى الهيمنة الأمريكية، مرجع سابق ذكره، ص10.

[25]- نعوم تشومسكي، الدولة المارقة استخدام القوة في الشؤون الدولية، تعريب أسامة إسبر، مكتبة العبيكان 1424ه، 2004م، ص33.

[26]- محمد البشير الإبراهيمي،عيون البصائر، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 165.

[27]- آنيا لومبا، في نظرية الاستعمار، مرجع سابق ذكره 189.